يكون المتفكر فيه ما خلق الله اي بعز جلاله وعلوه في كماله السموات والارض
علي ما هما عليه من النظام المحكم والقانون المتقن قال البقاعي وافرد
الارض لعدم دليل حسي او عقلي بيد لهم علي تعددها بخلاف السما انتهي
وقد يرد هذا بقوله تعالي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وما بينهما
من المعاني التي بها كمال منافعهما الا خلقا متلبسا بالحق اي الامر الثابت
الذي يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذي هو مبدأ الاخرة التي هذا اسلوبها
وجد الواقع في تصوير النطف ونفخ الروح وتمييز الصالح منهما للتصوير
من الفاسد يطابق ذلك واذا اتذكر النبات بعد ان كان هشيما قد زال عليه
الماء فهز واهتز وربا وجده مطابقا لامر البعث واذا ذكر القدرة فراي
اختلاف الليل والنهار وسير الكواكب الصغار والكبار وامطار الامطار
واجرا الانهار ونحو ذلك من الاسرار راه مطابقا لكل ما يخطر بالبال
ولما كان عندهم ان هذا الوجود حياة وموت لا الي نفاد قال تعالي واجل
اي لا بد ان ينتهي اليه مسمي اي في العلم من الازل لذلك يعني عند انتهائه
وبعده البعث ولما كانوا ينكرون انهم علي كفر اكده بقوله تعالي وان كثيرا من الناس
مع ذلك علي وضوحه بلقاء ربهم اي الذي ملاهم احسانا برجوعهم في الاخرة
الي العرض عليه للثواب والعقاب لكافرون اي لا يؤمنون بالبعث
بعد الموت فان قيل ما الفائدة في قوله تعالي ههنا وان كثيرا من الناس
وقال من قبل ولكن اكثر الناس اجيب بان فائدته انه من قبل لم يذكره دليلا
علي الاصلين وههنا قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللائحة ولا شك
في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد ذلك لا بد ان
يؤمن من ذلك جمع فلا يبقي الاكثر فقال كما هو فقال بعد اقامة الدليل
وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه
وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل الانسان عن السما التي
فوقه والارض التي تحته فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو امثالهم
وحكاية اشكالهم فقال اولم يسيروا في الارض اي سير اعتبار وقوله تعالي
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم وهي اهلاكهم بتكذيبهم
رسلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الي اثار المدمرين كعاد
وثمود كانوا اشد منهم اي العرب قوة اي في ابدانهم وعقولهم واثاروا
الارض وحرثوها وقلبوها للزرع والغرس والمعادن والمياه وغير ذلك
وعمروها اي اولئك السابقون اكثر مما عمروها اي هولا الذين ارسلت
اليهم بل ليس اليهم من اثارة الارض وعمارتها كبير امر فان بلاد
العرب انما هي جبال سود وفيافي حمر ولا نهي كم بهم وبيان لضعف
حالهم في دنياهم التي لا فخر لهم بغيرها وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الظاهرات

مثل

مثل ما اتاكم به رسولنا من وعودنا الصادقة وامورنا الخارقة كما في الاسرا
وما اظهر فيه من الغرايب كالاخبار بان العير تقدم في يوم كذا يقدمه جمل
صفته كذا او غرايره كذا فظهر كذلك وما امنتم به كالم يؤمن من كان اشد منكم
قوة فما اي فتسبب انه ما كان الله اي علي ما له من اوصاف الكمال مريدا
ليظلمهم بان يفعل معهم فعل من تعدونه ظالما بان يهلكهم في الدنيا
ثم يقتص منهم في القيامة قبل اقامة الحجة عليهم بارسال الرسل بالبينات
ولكن كانوا بغاية جهدهم انفسهم اي خاصة يظلمون اي يجددون
الظلم لها بايقاع الضر موقع جلب النفع ثم كان عاقبة اي اخر امر الذين
اساؤا وقوله تعالي السوأى تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الاحسن
الحسني تانيث الاحسن والمعني انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت
عاقبتهم السوأى الا انهم انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي
هي اسوا العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو عاقبة بالرفع علي انها اسم كان والسوأى خبرها والباقون
بالنصب علي انها خبر كان وقيل السوأى اسم جهنم كما ان الحسني
اسم الجنة واساتهم ان بان كذبوا بايات الله اي القران وقيل تفسير
السوأى ما بعده وهو قوله تعالي ان كذبوا اي ثم كان عاقبة المسيئين
التكذيب حملتهم تلك السيئات علي ان كذبوا بايات الله وكانوا بها مع كونها
ابعد شئ من الهزء يستهزؤن اي يستمرون علي ذلك بتجديده في كل حين
ولما كان حاصل ما مضي انه تعالي قادر علي الاعادة كما قدر علي الابتدا
صرح بذلك في قوله تعالي الله اي المحيط علما وقدرة يبدؤ الخلق اي يبدا
انشاءهم مارا منهم وهو يجدده في كل وقت ما يريد من ذلك كما تشاهدون
ثم يعيده اي خلقهم بعد موتهم احيا ولم يزل يعيدهم لرده الي الخلق
ثم اليه ترجعون للجزا فيجزيهم باعمالهم وقرا ابو عمرو وشعبة بالياء
علي الغيبة علي النسق الماضي والباقون بالتاء علي الخطاب اي اليه ترجعون
يعني في اموركم كلها في الدنيا وان كنتم لقصور النظر تنسبونها للاسباب
وحسابعد قيام الساعة وهي ابلغ من القراة الاولي لانها نص علي
المقصود ولما ذكر الرجوع اتبعه ببعض احواله بقوله تعالي ويوم تقوم الساعة
سميت بذلك اشارة الي عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلائق علي ما بهم
فيه من العظما والكبرا والروسا يبلس المجرمون اي يسكت المشركون
لانقطاع حجتهم والابلاس ان يبقي ساكتا يائسا متحيرا يقال ناظرته
فابلس ومنه الناقة المبلاس اي التي لا ترعو وقال مجاهد يفتضحون
وقال قتادة المعني ييأس المشركون من كل خير ولما كان الساكت
ربما اغناه عن الكلام غيره نفي ذلك بقوله تعالي محققا لم يجعله ماضيا